سورة محمد ﷺ

مدنية عند مجاهد. وقال الضحاك وسعيد بن جبير: مكية.
وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية.
وقيل ثمان وثلاثون [نزلت بعد الحديد]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾

﴿وَصَدُّوا۟﴾ وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام: أو صدّوا غيرهم عنه. قال ابن عباس رضي الله عنه: هم المطعمون يوم بدر. وعن مقاتل: كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك يصدّون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر. وقيل: هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدّوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام. وقيل: هو عامّ في كل من كفر وصدّ ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أبطلها وأحبطها. وحقيقته: جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها، كالضالة من الإبل[1] التي هي بمضيعة لا ربَّ لها يحفظها ويعتني بأمرها. أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها، كما يضل الماء في اللبن. وأعمالهم: ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم: من صلة الأرحام وفك الأسارىٰ وقرى الأضياف وحفظ الجوار. وقيل: أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصدّ عن سبيل الله: بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله.

---

(١) قال محمود: «معناه جعلها كالضالة من الإبل... الخ» قال أحمد: هذا المعنى الثاني حسن متمكن مليء بمقابلة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ثم قال: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي، حتى صار صالحهم مستهلكًا في غمار سيئهم، ومقابله في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة، حتى صار سيئهم مكفرًا ممحقًا في جنب صالح أعمالهم، وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيء أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال مقاتل: هم ناس من قريش. وقيل: من الأنصار. وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: هو عام. وقوله: ﴿وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله ﷺ من بين ما يجب به الإيمان تعظيمًا لشأنه وتعليمًا، لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به. وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وقيل: معناها إنّ دين محمد هو الحق، إذ لا يرد عليه النسخ، وهو ناسخ لغيره. وقرئ: «نزل وأنزل»، على البناء للمفعول. ونزّل على البناء للفاعل، ونزل بالتخفيف/ ٢/ ١٨١أ ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ وما بعده خبره، أي: ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني: كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق. ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر كما ذكر بهذا السبب، فيكون محل الجار والمجرور منصوبًا على هذا[1]، ومرفوعًا على الأوّل و﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ ما لا ينتفع به. وعن مجاهد: الباطل الشيطان، وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ والضمير راجع إلى الناس، أو إلى المذكورين من الفريقين، على معنى: أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم. فإن قلت: أين ضرب الأمثال؟ قلت: في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين. أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿لَقِيتُمُ﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضربًا، فحذف

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا حاجة إليه، قوله: «كذلك يضرب» خرجه الزمخشري على مثل ذلك الضرب «يضرب الله للناس أمثالهم» والضمير راجع إلى الفريقين أو إلى الناس على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس؛ ليعتبروا. انتهى الدر المصون.

الفعل وقدّم المصدر فأنيب منابه مضافًا إلى المفعول. وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد؛ لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه. وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأنّ الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته، وضرب ما فيه عيناه[1] إذا قتله، وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته، فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه[2] من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه. ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من الشيء الثخين: وهو الغليظ. أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ فأسروهم. والوثاق بالفتح والكسر: ـ اسم ما يوثق به ﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَاءً﴾ منصوبان بفعليهما مضمرين، أي: فإمّا تمنون منا، وإما تفدون فداء. والمعنى: التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم، وبين أن يفادوهم. فإن قلت: كيف حكم أسارىٰ المشركين؟ قلت: أمّا عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين: إمّا قتلهم وإمّا استرقاقهم: أيهما رأى الإمام، ويقولون في المنّ والفداء المذكورين في الآية: نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ. وعن مجاهد: ليس اليوم منّ ولا فداء، وإنما هو الإسلام أو ضرب العنق. ويجوز أن يراد بالمنّ: أن يمنّ عليهم بترك القتل ويسترقوا. أو يمنّ عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية، وكونهم من أهل الذمّة. وبالفداء أن يفادىٰ بأساراهم أسارىٰ المسلمين، فقد رواه الطحاوي مذهبًا عن أبي حنيفة، والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره، خيفة أن يعودوا حربًا للمسلمين، وأما الشافعي فيقول: للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين، وهو: القتل، والاسترقاق[3]، والفداء بأسارىٰ المسلمين، والمن. ويحتج بأن رسول الله ﷺ منّ على أبي عروة الحجبي (١٤٢٧)، وعلى ثمامة بن أثال الحنفي (١٤٢٨)، وفادى رجلاً برجلين من

١٤٢٧ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٣٣٦) رقم (٨٢٥)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) إلى الدارقطني في كتابه «المؤتلف والمختلف»، والبيهقي في «المعرفة» وابن سعد في طبقاته، والواقدي في مغازيه. =

---

(١) قوله: «وضرب ما فيه عيناه» لعله كناية عن رأسه أو عن وجهه. (ع)

(٢) قوله: «لما فيه من تصوير القتل» لعله لما فيها. (ع)

(٣) قوله: «وهو القتل والاسترقاق» لعله: وهي... (ع)

المشركين (١٤٢٩). وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي. وقرئ: «فدى» بالقصر مع فتح الفاء. أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع. قال الأعشى [من المتقارب]:

وَأَعْـــدَدْتُ لِـــلْـــحَـــرْبِ أَوْزَارَهَـــا رِمَـــاحًـــا طِـــوَالاً وَخَـــيْـــلاً ذُكُـــورا[1]

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرّها فكأنها تحملها وتستقل بها، فإذا انقضت فكأنها وضعتها. وقيل: أوزارها آثامها، يعني: حتى يترك أهل الحرب. وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا. فإن قلت: (حتى) بم تعلقت؟ قلت: لا تخلو إما أن تتعلق بالضرب والشد، أو بالمن والفداء؛ فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي

= قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:
هو مذكور في المغازي لابن إسحاق وغيره: «أنه أسر يوم بدر، فمنّ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ بغير فداء، ثم أسره يوم أحد، فقتله صبرًا» ورواه الواقدي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن سعيد بن المسيب. انتهى.

١٤٢٨ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٤١٩): كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، حديث (٤٣٧٢)، ومسلم (٦/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ النووي) كتاب الجهاد والسير: باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، حديث (٥٩/ ١٧٦٥)، وأبو داود (٣/ ٥٧): كتاب الجهاد: باب في الأسير يوثق حديث (٢٦٧٩)، والنسائي (١/ ١١٠) كتاب الطهارة: باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم، و(٢/ ٤٦): كتاب المساجد: باب ربط الأسير بسارية المسجد. كلهم من حديث سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به. وقال الحافظ ابن حجر: «قوله على ثمامة بن أثال الحنفي»، هو في حديث أبي هريرة عند الشيخين مطولاً. انتهى.

١٤٢٩ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ١٣٥): كتاب السير: باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء، حديث (١٥٦٧)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٦) لابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. أ.هـ.
قال الحافظ ابن حجر:
قوله: «وفادى رجلاً برجلين من المشركين»: هذا طرف من حديث أخرجه مسلم، والترمذي، وغيرهما من حديث عمران، ولكن فيه أن أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أسروا رجلاً من بني عقيل، وكانت ثقيف أسرت رجلين من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ففداه النبي ـ ﷺ ـ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف» وروى البيهقي في المعرفة عن الشافعي من هذا الوجه مثل لفظ الكتاب. ثم قال: أظنه من الكاتب، والصحيح الأول. انتهى.

---

(١) للأعشى، واستعار الأوزار لآلات الحرب على طريق التصريحية، ويحتمل أنه شبه الحرب بمطايا ذات أوزار، أي: أحمال ثقال على طريق المكنية، وإثبات الأوزار تخييل، ورماحًا: بدل.
ينظر: ديوانه ص ١٤٩، ولسان العرب (وزر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٢٢، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢٤٤، ومجمل اللغة ٤/ ٥٢٣، وكتاب العين ٧/ ٣٨١، وأساس البلاغة (وزر)، وتاج العروس (وزر)، وبلا نسبة في المخصص ٦/ ٧٦.

رضي الله عنه: أنهم لا يزالون على ذلك أبدًا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين. وذلك إذا لم يبق لهم شوكة. وقيل: إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام. وعند أبي حنيفة رحمه الله: إذا علق بالضرب والشد؛ فالمعنى: أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار، وذلك/ ٢/ ١٨١ب حين لا تبقى شوكة للمشركين. وإذا علق بالمن والفداء، فالمعنى: أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك، أو افعلوا ذلك ﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لا نتقم منهم ببعض أسباب الهلك: من خسف، أو رجفة، أو حاصب، أو غرق. أو موت جارف، ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين: أن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم، والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب. وقرئ: «قتلوا» بالتخفيف والتشديد: وقتلوا. وقاتلوا. وقرئ: «فلن يضل أعمالهم»، وتضل أعمالهم: على البناء للمفعول. ويضل أعمالهم من ضل. وعن قتادة: أنها نزلت في يوم أحد ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة. قال مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون، كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها. وعن مقاتل: إن الملك الذي وكّل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله، أو طيبها لهم، من العرف: وهو طيب الرائحة. وفي كلام بعضهم: عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري[1]. أو حددها لهم؛ فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها، من: عرف الدار وأرفها. والعرف والأرف، الحدود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾

﴿إِن تَنصُرُواْ﴾ دين ﴿ٱللَّهَ﴾ ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ويفتح لكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ كأنه قال: أتعس الذين كفروا. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؟ قلت: على الفعل الذي نصب تعسًا؛ لأنّ المعنى فقال: تعسا لهم، أو فقضى تعسا لهم. وتعسا له: نقيض

---

(١) قوله: «عزف كنوح القماري» العزف: الغناء. والقمارى: جمع قمري، اسم طير. والعود القماري: منسوب إلى موضع ببلاد الهند. أفاده الصحاح. (ع)

«لَعَالَهُ» قال الأعشى [من البسيط]:

. . . . . فَالتَّعْسُ أَوْلَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا[1]

يريد: فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد في الدنيا القتل، وفي الآخرة التردي في النار ﴿كَرِهُوا﴾ القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والأحكام، لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾

دمره: أهلكه، ودمر عليه: أهلك عليه ما يختص به. والمعنى: دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة؛ لأن التدمير يدل عليها. أو للسنة، لقوله عزّ وعلا ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا﴾ [الأحزاب: ٣٨، ٦٢].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وليهم وناصرهم. وفي قراءة ابن مسعود «ولي الذين آمنوا» ويروى:

---

(١) وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغي الشيما
كلفت مجهولها نفسي وشايعني ... همي عليها إذا ما آلها لمعا
بذات لوث عفرناة إذا عثرت ... فالتعس أولى لها من أن يقال: لعا

للأعشى، أي: ورب مفازة يخاف الجواب: أي كثير السير، من جبت الأرض: قطعتها بالسير. والدلجة من دلج وأدلج، وزن افتعل. وأدلج وزن أكرم: إذا سار ليلًا. والدلجة: ساعة من الليل، أي: يخاف المعتاد على السير من سيرها ليلًا، حتى يطلب الجماعات المساعدين له على سيرها، كلفت نفسي سير المجهول منها، وعاونني عزمي على سيرها وقت لمعان آلها وهو السراب الذي يرى عند شدة الحر، كأنه ماء، مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل، ثم قال: مع ناقة صاحبة قوة. ويطلق اللوث على الضعف أيضًا، فهو من الأضداد. عفرناة: غليظة. ويقال للعاثر: لعا لك: دعاء له بالانتعاش. وتعسا له: دعاء عليه بالسقوط، يريد أنها لا تعثر، ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها.
ينظر: ديوانه ص ١٥٣، ولسان العرب (لوث)، (تعس)، (لعا)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٨٧، وتهذيب اللغة ٢/ ٧٩، ٣/ ١٩٢، وجمهرة اللغة ص ٩٥٢، وكتاب العين ٨/ ٢٣٩، وأساس البلاغة (لعو)، وتاج العروس (لوث)، (تعس)، (لعا)، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٩٢، وكتاب العين ٢/ ١٢٣، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ٦٥، ٥/ ٢٥٣.

أن رسول الله ﷺ كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات، وفيه نزلت، فنادى المشركون: اعل هبل: فنادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فنادى المشركون: يوم بيوم والحرب سجال، إن لنا عزى ولا عزى لكم؛ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون» (١٤٣٠). فإن قلت: قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] مناقض لهذه الآية. قلت: لا تناقض بينهما، لأن الله مولى عباده جميعًا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم؛ وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيامًا قلائل ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين غير مفكرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ في مسارحها ومعالفها، غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾

وقرئ: «وكائن» بوزن كاعن[1]. وأراد بالقرية أهلها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ كأنه قال: وكم من قوم هم أشد قوّة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم. ومعنى أخرجوك:

١٤٣٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (١١/ ٣٠٩) رقم (٣١٣٥٨) من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، ورسول الله ـ ﷺ ـ في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات... إلى آخره سواء وكذلك ذكره الثعلبي في تفسيره عن قتادة من غير سند كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ٣/ ٢٩٧).

وللحديث شاهد من حديث البراء بن عازب: أخرجه البخاري (٨/ ٩٢): كتاب المغازي: باب غزوة أحد، حديث (٤٠٤٣) من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبي ـ ﷺ ـ جيشًا من الرماة وأمر عليهم عبد الله... إلى آخره فذكره.

وقال الحافظ ابن حجر:

أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال: «ذكر لنا أن هذه الآية. يعني: ﴿إن الله مولى الذين آمنوا﴾ نزلت يوم أحد، ورسول الله ـ ﷺ ـ في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات. إلخ،. سواء. وله شاهد في البخاري من حديث البراء بن عازب. انتهى.

---

(١) قوله: «وكأين بوزن كاعن» في الصحاح «كائن»: معناها معنى كم في الخبر والاستفهام، وفيها لغتان: كابن. مثال كعين وكائن: مثال كاعن اهـ. (ع)

كانوا سبب خروجك. فإن قلت: كيف قال: ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾؟ وإنما هو أمر قد مضىٰ. قلت: مجراه مجرى الحال المحكية، كأنه قال: أهلكناهم فهم لا ينصرون.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

من زين له: هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله، ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان: وهو القرآن/ ٢/ ١٨٢أ المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله ﷺ. وقرئ: «أمن كان على بينة من ربه». وقال تعالى: ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ للحمل على لفظ «من» ومعناه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾. ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ﴾؟ قلت: هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار[1]، لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه، وانخراطه في سلكه، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فكأنه قيل: أمثل الجنة كمن هو خالد في النار، أي كمثل جزاء من هو خالد في النار. فإن قلت: فلم عرّى في حرف الإنكار؟ وما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار، وبين النار التي يسقى أهلها الحميم. ونظيره قول القائل [من المنسرح]:

---

(١) قال محمود: «هو كلام في صورة الإثبات ومعناه النفي. . . الخ» قال أحمد: كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية، فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها، لا يعوزها إلا للتنبيه على أن في الكلام محذوفًا لا بد من تقديره لأنه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين في النار إلا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه. ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإنه لا بد من تقدير محذوف مع الأول أو الثاني؛ ليتعادل القسمان. وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله، فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسيئة والراكب للهوى ببعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين. وهو من وادي تنظير الشيء بنفسه، باعتبار حالتين إحداهما أوضح في البيان من الأخرى؛ فإن المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة. والمتبع للهوى: هو المعذب في النار المنعوتة، ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولاً، وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولاً، وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيًا.

أَفْـــرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْـــكِـــرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذُودًا شَـصَـائِـصًـا نَـبِـلا[1]

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود، مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال: أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله، والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصوّر قبح ما أزنّ به[2] فكأنه قال له: نعم مثلي يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودًا يقل طائله[3] وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار، ومثل الجنة: صفة الجنة العجيبة الشأن، وهو مبتدأ، وخبره: كمن هو خالد. وقوله: فيها أنهار، داخل في حكم الصلة كالتكرير لها. ألا ترى إلى صحة قولك: التي فيها أنهار. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها[4] أنهار، وكأن قائلاً قال: وما مثلها؟ فقيل: فيها أنهار، وأن يكون في موضع الحال، أي: مستقرّة فيها أنهار، وفي قراءة عليّ رضي الله عنه «أمثال الجنة» أي: ما صفاتها كصفات النار. وقرئ: «أسن» يقال: أسن الماء وأجن: إذا تغير طعمه وريحه. وأنشد ليزيد بن معاوية [من البسيط]:

لَـقَـدْ سَـقَـتْـنِـي رُضَـابًـا غَـيْـرَ ذِي أَسـنٍ كَـالـمِـسْـكِ فُـتَّ عَـلَـى مَـاءِ الْـعَـنَـاقِـيـدِ[5]

﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما تتغير ألبان الدنيا، فلا يعود قارصًا ولا حاذرًا[6]. ولا ما يكره من الطعوم ﴿لَّذَّةٍ﴾ تأنيث لذّ، وهو اللذيذ، أو وصف بمصدر. وقرئ بالحركات الثلاث، فالجر على صفة الخمر، والرفع على صفة الأنهار، والنصب على العلة، أي: لأجل لذة الشاربين. والمعنى: ما هو إلا التلذذ الخالص، ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع، ولا آفة من آفات الخمر ﴿مُّصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم، وانمازت فروة رءوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم.

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ما أزن» أي اتهم. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «يقل طائله» لأن الشصائص قليلات اللبن. والنبل: الكبار من الإبل، والصغار منها أيضًا، فهو من الأضداد. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قوله: «هي فيها» لعله: أي هي فيها. (ع)

(٥) ليزيد بن معاوية. وترضب الرجل ريق المرأة: إذا ترشفه. وأسن أسنًا كتعب تعبًا: تغير طعمه أو ريحه أو لونه؛ لطول مدته. يقول: سقتني ريقها الذي لم يتغير. وماء العناقيد: كناية عن الخمر، واستعاره لريقها على التصريحية، وناولتني المسك حال كونه تفتت على ريقها الشبيه بالخمر، أي: كأنه كذلك لطيبه. ويروى: كالمسك وهي الظاهرة، والتشبيه من قبيل تشبيه المفرد بالمركب؛ لأنه لا يريد تشبيه الرضاب بالمسك فقط.

(٦) قوله: «ولا حاذرًا ولا ما يكره» لعله محذوف، وأصله: حازر بالزاي، وفي الصحاح: الحازر: اللبن الحامض.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

هم المنافقون: كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالاً تهاونًا منهم، فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة، ماذا قال الساعة؟ على جهة الاستهزاء. وقيل: كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء. وقيل: قالوه لعبد الله بن مسعود. وعن ابن عباس: أنا منهم، وقد سميت فيمن سئل ﴿ءَانِفًا﴾ وقرئ: «أنفًا» على فعل، نصب على الظرف[1] قال الزجاج: هو من استأنفت الشيء: إذا ابتدأته. والمعنى: ماذا قال في أوّل وقت يقرب منا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ بالتوفيق ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أعانهم عليها. أو أتاهم جزاء تقواهم. وعن السدي: بين لهم ما يتقون. وقرئ: «وأعطاهم» وقيل: الضمير في زادهم، لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة، نحو: ﴿أن تطؤهم﴾ من قوله: ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح: ٢٥]، وقرئ: «أن تأتهم» بالوقف على الساعة واستئناف الشرط، وهي في مصاحف أهل مكة كذلك: فإن قلت: فما جزاء الشرط؟ قلت: قوله ﴿فأنى لهم﴾ ومعناه: إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم، أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة، يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذٍ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]. فإن قلت: بم يتصل قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾/ ٢/ ١٨٢ب على القراءتين؟ قلت: بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول، كقولك: إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه. والأشراط: العلامات. قال أبو الأسود [من الطويل]:

فَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ بِالصَّرْمِ بَيْنَنَا ... فَقَدْ جَعَلَتْ أَشْرَاطُ أَوَّلِهِ تَبْدُو[2]

وقيل: مبعث محمد خاتم الأنبياء ﷺ وعليهم منها، وانشقاق القمر، والدخان. وعن

---

(١) قوله: «وقرئ أنفًا على فعل نصب على الظرف» لعله: بالضم. (ع)

(٢) لأبي الأسود. يقول: إن كنت جزمت بقطع المودة بيننا فلا تكتميه؛ لأن علامات ابتدائه شرعت في الظهور.

ينظر: البحر (٨/ ٧٠)، والدر المصون (٦/ ١٥٢).

الكلبي: كثرة المال والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام. وقرئ: «بغتة» بوزن جربة[1]، وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها، وهي مروية عن أبي عمرو، وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو، وأن يكون الصواب: بغتة، بفتح الغين من غير تشديد، كقراءة الحسن فيما تقدم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال: إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله، وعلى التواضع وهضم النفس: باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك. والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم، ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور. أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار. ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى، وأن يستغفر ويسترحم. وعن سفيان بن عيينة: أنه سئل عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠] إلى قوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ثم قال بعد: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] ثم أمر بالعمل بعد.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ في معنى الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا[2] وشق عليهم، وسقطوا في أيديهم، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:

---

(١) قوله: «بغتة بوزن جربة وهي غريبة» في القاموس «الجربة» محركة مشددة: جماعة الحمراء. وفي الصحاح «الجربة» بالفتح: بغتة، وتشديد الباء: العانة من الحمير. وفيه أيضًا «العانة» القطيع من حمر الوحش. (ع)

(٢) قوله: «كاعوا» في الصحاح: كاع الكلب يكوع، أي: مشى على كوعه في الرمل من شدة الحر. (ع)

٧٧]. ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهًا إلا وجوب القتال. وعن قتادة: كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين. وقيل لها «محكمة» لأنّ النسخ لا يرد عليها من قبل أنّ القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة، وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة. وقيل: هي المحدثة؛ لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ، ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة. وفي قراءة عبد الله «سورة محدثة» وقرئ: «فإذا نزلت سورة وذُكِرَ فيها القتالُ» على البناء للفاعل ونصب القتال ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي تشخص أبصارهم جبنًا وهلعًا وغيظًا، كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ وعيد بمعنى: فويل لهم. وهو أفعل: من الولي وهو القرب. ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام مستأنف، أي: طاعة وقول معروف خير لهم. وقيل: هي حكاية قولهم، أي قالوا طاعةٌ وقول معروف، بمعنى: أمرنا طاعة وقول معروف. وتشهد له قراءة أبيّ: يقولون طاعة وقول معروف ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي جدّ. والعزم والجد لأصحاب الأمر. وإنما يسندان إلى الأمر إسنادًا مجازيًا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد. أو: فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾

عسيت وعسيتم: لغة أهل الحجاز. وأما بنو تميم فيقولون: عسى أن تفعل، وعسى أن تفعلوا، ولا يلحقون الضمائر، وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب، وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات؛ ليكون أبلغ في التوكيد. فإن قلت: ما معنى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ ... أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟ قلت: معناه: هل يتوقع منكم الإفساد؟ فإن قلت: فكيف يصح هذا في كلام الله عزّ وعلا وهو عالم بما كان وبما يكون؟ قلت: معناه إنكم ـ لما عهد منكم ـ أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء، ما ترون؟ هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا؟ وقيل: إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية/ ٢/ ١٨٣أ من الإفساد في الأرض: بالتغاور والتناهب، وقطع الأرحام: بمقاتلة بعض الأقارب بعضًا ووأد البنات؟ وقرئ: «وليتم»[1].

(١) قوله: «وقرئ وليتم» لعله بالبناء للمجهول، وكذا توليتم في قراءة علي. (ع)

وفي قراءة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «تُولِّتُم» أي: إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم؟ وقرئ: «وتَقْطَعُوا» «وتقطعوا» من التقطيع والتقطع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادهم وقطعهم الأرحام، فمنعهم ألطافه وخذلهم، حتى صموا عن استماع الموعظة، وعموا عن إبصار طريق الهدى. ويجوز أن يريد بالذين آمنوا: المؤمنين الخلص الثابتين، وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم، فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد: رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة، حتى لا يجسروا على المعاصي، ثم قال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ وأم بمعنى بل وهمزة التقرير، للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر. وعن قتادة: إذًا والله يجدوا في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبروه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا. فإن قلت: لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها؟ قلت: أما التنكير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك. أو يراد على بعض القلوب: وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال؛ فلأنه يريد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح. وقرئ: «إقفالها» على المصدر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرًا لأنّ، كقولك: إنّ زيدًا عمرو مرّ به. سوّل لهم: سهل لهم ركوب العظائم، من السول وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا[1] ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ومدّ لهم في الآمال

---

(١) قال محمود: هو مشتق من السول وهو الاسترخاء، أي: سهل لهم ركوب العظائم. قال: وقد اشتقه من السؤال من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا، قلت: لأن السؤل مهموز، وسول معتل.
قال السمين الحلبي: وفيما قاله الزمخشري نظر؛ لأن السؤال له مادتان: سأل بالهمزة، وسال بالألف المنقلبة عن واو، وعليه قراءة «سال سائل». انتهى. الدر المصون.

والأماني. وقرئ: «وأملى لهم» يعني: إنّ الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم، كقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقرئ: «وأملي لهم» على البناء للمفعول، أي: أمهلوا ومدّ لهم في عمرهم. وقرئ: «سوّل لهم»[1]، ومعناه: كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف. فإن قلت: من هؤلاء؟ قلت: اليهود كفروا بمحمد ﷺ من بعد ما تبين لهم الهدى، وهو نعته في التوراة. وقيل: هم المنافقون. الذين قالوا: هم اليهود، والذين كرهوا ما نزل الله: المنافقون. وقيل عكسه، وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير: لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم. وقيل: ﴿بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾: التكذيب برسول الله ﷺ، أو بلا إله إلا الله، أو ترك القتال معه. وقيل: هو قول أحد الفريقين للمشركين: سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله ﷺ والقعود عن الجهاد معه. ومعنى: ﴿فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ في بعض ما تأمرون به. أو في بعض الأمر الذي يهمكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ وقرئ: «إسرارهم» على المصدر، قالوا ذلك سرًا فيما بينهم، فأفشاه الله عليهم. فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذٍ؟ وقرئ: «توفاهم» ويحتمل أن يكون ماضيًا، ومضارعًا قد حذفت إحدى تاءيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (١٤٣١) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التوفي الموصوف ﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من كتمان نعت رسول الله ﷺ. و﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: الإيمان برسول الله.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم وإخراجها: إبرازها لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم، وكانت صدورهم تغلي حنقًا عليهم ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ لعرفناكهم ودللناك عليهم. حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلامتهم: وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يُعلمون بها. وعن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شيء من المنافقين: كان يعرفهم بسيماهم، ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس، فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب: هذا منافق (١٤٣٢). فإن قلت: أي فرق بين اللامين في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾

١٤٣١ ـ ذكره القرطبي في «تفسيره» بدون سند (١٦/ ١٦٥).

١٤٣٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٨)؛ غريب، وهو في الثعلبي هكذا. أ.هـ. وقال الحافظ =

---

(١) قوله: «وقرئ سول لهم» لعله بالبناء للمجهول. (ع)

و﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾؟ قلت: الأولى هي الداخلة في جواب(لو) كالتي في ﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ كررت في المعطوف، وأما اللام في ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾/ ٢/ ١٨٣ب فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ في نحوه وأسلوبه. وعن ابن عباس: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب؟ ولا يقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب. وقيل: اللحن: أن تلحن بكلامك، أي: تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية. قال [من الكامل]:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْقَهُوا ... وَاللَّحْنُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ[1]

وقيل للمخطىء: لاحن؛ لأنه يعدل بالكلام عن الصواب.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم، ليعلم حسنها من قبيحها؛ لأن الخبر على حسب المخبر عنه: إن حسنًا فحسن، وإن قبيحًا فقبيح، وقرأ يعقوب: ونبلو، بسكون الواو على معنى: ونحن نبلو أخباركم. وقرئ: «وليبلونكم ويعلم» ويبلو بالياء. وعن الفضيل: أنه كان إذا قرأها بكى وقال: اللّهم لا تبلنا، فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا۟ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب؛ لأنها مع كفرهم برسول الله ﷺ باطلة، وهم قريظة والنضير. أو سيحبط أعمالهم التي عملوها، والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول، أي: سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم، بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم. وقيل: هم رؤساء قريش، والمطعمون يوم بدر.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ اللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

= ابن حجر: ذكره الثعلبي بغير سند، ولم أجده. انتهى.

---

(١) اللحن: العدول بالكلام عن الظاهر، كالتعريض والتورية، والمخطىء لاحن؛ لعدوله عن الصواب أي: لكي تفهموا دون غيركم، فإن اللحن يعرفه أولو الألباب دون غيرهم. والألباب: العقول اهـ.

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر[1]، كقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى أن قال: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢٠] وعن أبي العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل (١٤٣٣)، حتى نزلت ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ فكانوا يخافون الكبائر

١٤٣٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٨) لمحمد بن نصر المروزي الفقيه الشافعي في كتاب الصلاة، من طريق أبي قدامة عن وكيع عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾. انتهى.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية فذكره. وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو: أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٧/ ١٠٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وأبو يعلى الموصلي في مسنده كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٩٨). كلهم من طريق يحيى بن يمان عن سفيان عن إبراهيم عن محمد بن المنكدر عن أبيه عن مسروق قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يضر مع الإسلام ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل». انتهى.
وأعله عبد الحق الأشبيلي في أحكامه في كتاب الإيمان بيحيى بن اليمان وقال: إنه لا يحتج بحديثه كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ ٣/ ٢٩٩).
وله شاهد آخر من حديث عمر بن الخطاب:
أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»: (٧/ ١٣٤)، والعقيلي في كتابه، وابن عدي في الكامل كما في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٩) كلهم من طريق حجاج بن نصير عن منذر بن زياد الطائي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا ينفع مع الشرك شيء كما لا يضر مع الإيمان شيء» أ.هـ.
وذكره الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (١/ ١٥٣) من حديث عمر بن الخطاب وقال: ولا =

---

(١) قال محمود: «معناه: لا تحبطوا الطاعات بالكبائر... الخ» قال أحمد: قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر ما دون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة؛ لأن الله ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ نعم يقولون: إن الحسنات يذهبن السيئات كما وعد به الكريم جل وعلا. وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ما تقدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر؛ لأنهم يقطعون بخلود الفاسق في النار، وسلب سمة الإيمان عنه، ومتى خلد في النار لم تنفع طاعاته ولا إيمانه؛ فعلى هذا بنى الزمخشري كلامه وجلب الآثار التي في بعضها موافقة في الظاهر لمعتقده، ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل؛ لأن القاعدة المتقدمة ثابتة قطعًا بأدلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر في الحل والعقد عن مخالفتها، فمهما ورد من ظاهر يخالفها وجب رده إليها بوجه من التأويل، فإن كان نصًا لا يقبل التأويل فالطريق في ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه، والتوريك بالغلط على النقلة، على أن الأثر المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل ظاهره لأهل السنة فتأمله، وأما محمل الآية عند أهل الحق فعلى أن النهي عن الإخلال بشرط من شروط العمل وبركن يقتضي بطلانه من أصله، لا أنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول.

على أعمالهم. وعن حذيفة: فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم. وعن ابن عمر: كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولاً، حتى نزل ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات[1] والفواحش، حتى نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] فكففنا عن القول في ذلك (١٤٣٤)، فكنا

= يصح، فيه المنذر بن زياد وجاء من حديث أنس بن مالك من طريق أحمد بن عبد الله الهروي، وهو من عمله. (تعقب) بأن له طريقا آخر عن مسروق قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول، فذكره بلفظ: لا يضر مع الإسلام ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، وفي لفظ عند الطبراني: من قال لا إله إلاّ الله لم يضره معها خطيئة كما لو أشرك بالله لم تنفعه معها حسنة، رواه أبو نعيم في الحلية والطبراني وقالا: هكذا قال يحيى بن اليمان عن مسروق سمعت عبد الله بن عمرو وخالفه غيره فقال: نزل رجل على مسروق فقال: سمعت عبد الله بن عمرو فذكره (قلت): أخرجه من طريق الرجل المبهم أحمد والطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح ما خلا التابعي؛ فإنه لم يسم، وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: يعقوب بن سفيان، عن حجاج بن نصير، عن المنذر بن زياد، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر بحديث: لا يضر مع الإيمان شيء قال ابن القطان: لا يعرف حاله، وقال شيخنا في الذيل: علة الخبر إما حجاج وإما المنذر. انتهى. وفي اللسان أيضًا في ترجمة منذر بن زياد: أعل عبد الحق في الأحكام هذا الحديث بحجاج بن نصير فعاب عليه ابن القطان ذلك، فأصاب، فإن علته من منذر هذا، وحجاج لا يحتمل مثل هذا الموضوع المكشوف. انتهى. وكل هذا غفلة عن حديث عبد الله بن عمرو فإنه شاهد جيد والله أعلم.

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٩٩)، وقال: قال عمرو ابن علي الفلاس: كان المنذر بن زياد كذابًا، وقال الدارقطني: متروك وله مناكير قال ابن الجوزي: وقد رواه أحمد بن عبد الله الهروي عن عبد الله بن معدان الأزدي، عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إني لأرجو ألا يمنع مع التوحيد ذنب كما لا يمنع مع الشرك عمل» وقال: هذا أيضًا باطل، وهو من عمل الهروي. أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب قدر الصلاة له. قال: حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس بهذا وزاد: فنزلت: (ولا تبطلوا أعمالكم) وفي الكتاب حديث مرفوع، أخرجه إسحاق وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود، قال أبو نعيم: تفرد به يحيى بن يمان عن سفيان أ.هـ. ويحيى ضعيف. وفيه عن عمر أيضًا أخرجه العقيلي. وابن عدي من رواية حجاج بن نصير عن منذر بن زياد وهما ضعيفان. انتهى.

١٤٣٤ـ أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة كما في تخريج الكشاف (٣/ ٣٠٠) من طريق عبد الله بن المبارك: أخبرني بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلاّ مقبولاً حتى نزلت: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟... إلى آخره. =

---

(١) قوله: «فقلنا: الكبائر الموجبات» عبارة الخازن: الكبائر والفواحش. (ع)

نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها. وعن قتادة رحمه الله: رحم الله عبدًا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء. وقيل: لا تبطلوها بمعصيتهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تبطلوها بالرياء والسمعة، وعنه: بالشك والنفاق، وقيل: بالعجب؛ فإنّ العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقيل: ولا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ قيل: هم أصحاب القليب، والظاهر العموم.

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدوّ ﴿وَ﴾ لا ﴿تَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ وقرئ: «السلم» وهم المسالمة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي الأغلبون الأقهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي ناصركم. وعن قتادة: لا تكونوا أوّل الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة. وقرئ: لا تدّعوا، من ادّعى القوم وتداعوا: إذا دعوا. نحو قولك: ارتموا الصيد وترامَوه. وتدعوا: مجزوم لدخوله في حكم النهي. أو منصوب لإضمار إن. ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، أو حربته، وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوتر وهو الفرد؛ فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله» (١٤٣٥) أي أفرد عنهما قتلاً ونهبًا.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

= وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٥) وزاد نسبته إلى ابن جرير وابن مردويه عن ابن عمران وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن المبارك عند بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن نافع، عن ابن عمر بهذا، وأخرجه محمد بن نصر أيضًا من هذا الوجه. انتهى.

١٤٣٥ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث ابن عمر.

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي ولا يسألكم جميعها، إنما يقتصر منكم على ربع العشر، ثم قال: ﴿إِن يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ أي يجهدكم ويطلبه كله، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئًا من الإلحاح. وأحفى شاربه: إذا استأصله ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أي تضطغنون على رسول الله ﷺ[1]، وتضيق صدوركم لذلك، وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم، والضمير في ﴿يُخْرِجَ﴾ لله عزّ وجل، أي يضغنكم بطلب أموالكم. أو للبخل؛ لأنه سبب الاضطغان، وقرئ «نخرج» بالنون. ويخرج، بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول بمعنى الذين صلته ﴿تُدْعَوْنَ﴾ أي أنتم الذين تدعون. أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء/ ٢/ ١٨٤أ الموصوفون، ثم استأنف وصفهم، كأنهم قالوا: وما وصفنا؟ فقيل: تدعون ﴿لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي النفقة في الغزو. وقيل: الزكاة، كأنه قيل: الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر، فمنكم ناس يبخلون به، ثم قال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة. فلا يتعداه ضرر بخله، وإنما ﴿يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ يقال بخلت عليه وعنه، وكذلك ضننت عليه وعنه. ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه لحاجته إليه، فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات، ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ معطوف على: وإن تؤمنوا وتتقوا ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يخلق قومًا سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى، غير متولين عنهما، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩] وقيل: هم الملائكة. وقيل: الأنصار. وعن ابن عباس: كندة والنخع. وعن الحسن: العجم. وعن عكرمة: فارس والروم. وسئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه، فضرب على فخذه وقال: «هذا وقومه، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله رجال من فارس» (١٤٣٦).

١٤٣٦ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة محمد ﷺ، حديث (٣٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٦٢ ـ ٦٣) رقم (٧١٢٣)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٣٠) رقم (٣١٤٤٢ ـ ٣١٤٤٣ ـ ٣١٤٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

كلهم من طرق مختلفة عن عبد العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. أ.هـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٥)، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في =

---

(١) قوله: «أي تضطغنون على رسول الله ﷺ، في الصحاح: «الضغن» الحقد. وتضاغن القوم واضطغنوا: انطووا على الأحقاد. (ع)

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة محمد ﷺ كان حقًا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة» (١٤٣٧).

= الأوسط عن أبي هريرة به.

وله طريق آخر:

أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة محمد ـ ﷺ ـ، حديث (٣٢٦٠) من طريق عبد الرزاق عن شيخ من أهل المدينة عن العلاء به. وقال: هذا حديث غريب في إسناده مقال. أ.هـ. وأخرج طرفه الأخير:

مسلم (٨/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ النووي): كتاب فضائل الصحابة: باب فضل فارس، حديث (٢٣١/ ٥٤٦) من طريق ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة به.

وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩) من طريق معمر عن جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل من فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله». أ.هـ. وقال ابن حجر: «أخرجه الترمذي وابن حبان، والحاكم والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة وله طرق عنه وعن غيره. انتهى.

١٤٣٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي ابن كعب. انتهى.